التَّحولات التَّركيبية في نسق الدُّعاء والإجابة في النَّص القرآني

م.د.حسين علي حسين المهدي

الخلاصة:

الباحث تتبع أساليب الدعاء ونسقه وأساليب الإجابة ونسقها، فبيّن صيغَ الدعاء والإجابة وأساليبهما وحلّل التّحولات الطارئة على أنساق الدّعاء والإجابة، وقد اتّضحَ أنَّ الدعاءَ اتخذ جملةً من الأساليب منها أسلوبُ الأمر والنهي والشرط والجملة الاسمية والفعلية وغيرها. وكانت أساليبُ الإجابة: الأمرَ والشرطَ والجملةَ الفعلية والاسمية وما يفهم من السياق وغيرها. والتحولاتُ التركيبيةُ تمثّلتْ في التفصيل والإيجاز وتحول الدلالة الزمنية وتحولات الأساليب النحوية وهناك تحولات جزئية أشار إليها الباحث بالتحولات في أجزاء التركيب. كلُّ ذلك صوّر العلاقةَ القويةَ بين الدَّاعي والمدعو، فكانت علاقةٌ يستمدُ بها الداعي الفقيرُ كمالَه من الغني المطلق.

المقدمة

اشترط الله تعالى على نفسه بلطفه وعنايته إجابةَ الدّعاء لمن دعاه من عباده، وقد نصت الآية الشريفة(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)(البقرة 186)، على نسبة السائلين إلى نفسه بلفظ (عبادي) وفي ذلك إرشادهم لما

يصلح حالهم ومآلهم من تحقيق الأماني والمطالب الدنيوية والأخروية، وبالارتباط به سبحانه والشعور به تتحقق الأماني، فهو قريب من الداعي أقرب مرتبةً من غيره؛ لذلك وصف ذلك القرب المعنوي قائلاً (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)(ق:16)، وحين يتحقق الدعاء تتحقق الإجابة. وقد حثَّ النص القرآني كثيراً على الدعاء والاهتمام به كقوله تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا)(الفرقان 77) فالعناية الإلهية بالعبد تنزلُ بالدّعاء، والإهمالُ وعدمُ الرعاية للعبد سببُها عدم الدعاء، وذلك لعناده عن الدعاء، أو لجهله بالجهة التي يجب التوجه إليها عند الفقر والحاجة، فالله هو القادر على رفع النقائص والحوائج، ومن كذّب بذلك أو اعتقد خلافه كان مستحقًا لنزول العذاب، وفي آيات أُخر تتبيّن حقيقةٌ فطريةٌ عند الإنسان عندما يُحيط به خطر، يلجأ إلى الله بفطرته، ويدعوه للخلاص من ذلك الخطر ودفع الضُّر والكرب عنه(قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ❖ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) (الأنعام:40-41) والمعنى الذي يحمله هذا النص أنَّ الإنسان يدعو الله دعاءً فطرياً يسأل في كل ما ألمَ به سواء شعر بذلك الأمر أم لم يشعر لتعلقه بالأسباب المادية فيعتقد أنها سبب قضاء حوائجه فيشركها مع الله ولكن الحق هو القاضي للحوائج، ونحن في معالجتنا هذا الموضوع ركّزنا على ما ورد من أدعية في القرآن الكريم وكانت لها إجاباتٌ ملاحظين أنساقَ الدّعاء والإجابة معًا. وقد تكوّنت خطةُ البحث المنسجمة مع سياقات الدعاء وإجابته من تمهيد بيّنتُ فيه معانيَ مكونات عنوان البحث بالاتكاء على الأصول اللغوية لمادتي الدّعاء والإجابة ثم الأخذ من المعطيات الاصطلاحية؛ لتتكاملَ دلالةُ العنوان واضحةً، فينفتح في ضوئها المسارُ البحثي نحو التّحليل اللغوي في مستواه النّحوي المناسب لموضوع البحث في ثلاثة مباحث: المبحث الأول: (الدعاء وإجابته المباشرة): أي الإجابة المصرح فيها بلفظة أجاب ومشتقاتها وما رادفها من ألفاظ مع تغيير الأنساق في الدعاء

والإجابة، ثم تلاه المبحث الثاني: (الدعاء وإجابته غير المباشرة): وكان للإجابة غير المباشرة وهي ما لم تذكر فيها لفظة أجاب ومشتقاتها وما رادفها من ألفاظ وإنما تفهم الإجابة من ألفاظ توحي بالإجابة أو تفهم الإجابة من السياق الذي جاء فيه الدعاء عيّنتُ فيهما صيغَ الدعاء والإجابة وأساليبهما كالأمر والشرط والجملة الاسمية وغيرها، وانفرد المبحث الثالث بتحليل المتغيّرات اللغوية النسقية الحاصلة بين الدّعاء والإجابة، وانتهى البحث بخاتمة تضمنت النتائجَ الأساسيةَ في هذه الدراسة المركّزة. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

التمهيد: النَّسق والدّعاء والإجابة لغةً واصطلاحاً

1 ـ النسق لغةً واصطلاحاً

أ ـ النَّسق لغةً

بيّن الخليلُ أنَّ((النَّسَق من كل شيء: ما كان على نظام واحد عام في الأشياء))[1]، ومادة (نسق) تدلُّ على تتابُع الأشياء بنظام معين((وكلامٌ نَسَقٌ: جاءَ على نظامٍ واحد قد عُطِف بعضُه على بعض وأصله قولهم: ثَغْرٌ نَسَق، إذا كانت الأسنانُ متناسقةً متساوية. وخَرَزٌ نَسَق: منظَّم))[2] ويُفيد المعنى المعجمي تثبيتَ دلالة النظام في كلّ شيء يستجيبُ للترتيب والتنظيم،وهو معطى أساس وظَّفه الباحثون، وفعّلوه في الاصطلاح الذي يتّجه نحوه البحث.

ب ـ النَّسق اصطلاحًا

هو النّظام الذي يتحكم في النَّص لفظاً ومعنىً، ويساعد على تحليل النّص وفهمه؛ لأنّ النَّسق((في المفهوم اللساني نظام يدرس العلاقات بين عناصر التركيب وكيفيات التجاور والترتيب))[3]، أما التّحولات التركيبية التي تجري في النَّسق فهي تقع على أساس ما يحدث من تغييرات في النَّص بسبب إعادة

((توزيع المقولات النحوية ليؤسس نحوه الخاص هذه العملية تؤدي إلى إحداث تنوعات جديدة في الدلالات الأصلية))[4].

2 ـ الدعاء لغة واصطلاحاً

أ ـ الدعاء لغةً:

جاء في مادة(دعا)((وادعوا شهداءكم... استَغِيثوا بهم... فالدعاء هاهنا بمعنى الاستغاثة وقد يكون الدُّعاءُ عِبادةً... مسألة الله العفوَ والرحمة وما يُقَرِّب منه... مسألة الحَظِّ من الدنيا كقولك اللهم ارزقني مالاً وولداً وإنما سمي هذا جميعه دعاء؛ لأن الإنسان يُصَدّر في هذه الأشياء بقوله يا الله يا ربّ يا رحمنُ فلذلك سُمِّي دعاءً... وإنما سمي التهليلُ والتحميدُ والتمجيدُ دعاءً؛ لأنَّه بمنزلته في استِيجاب ثوابِ الله وجزائه))[5] فيتضح أنَّ الدعاء لغةً غنيٌّ بالمعاني ومنها: الاستغاثة، والعبادة، والسؤال من الله العفوَ والرحمة، وما يُقَرِّب منه، وما ينفع الإنسان في الدنيا والآخرة.

وجاء في كتاب المصباح المنير((دَعَوْتُ اللَّهَ أَدْعُوهُ دُعَاءً ابْتَهَلْتُ إلَيْهِ بِالسُّؤَالِ وَرَغِبْتُ فِيمَا عِنْدَهُ مِنْ الْخَيْرِ وَدَعَوْتُ زَيْدًا نَادَيْتُهُ وَطَلَبْتُ إقْبَالَهُ... دَعَوْتُ النَّاسَ إذَا طَلَبْتَهُمْ لِيَأْكُلُوا عِنْدَكَ... وَادَّعَيْتُ الشَّيْءَ تَمَنَّيْتُهُ وَادَّعَيْتُهُ طَلَبْتُهُ لِنَفْسِي))[6] فنحصل على معاني الدعاء في اللغة: الابتهال بالسؤال، والرغبة في الخير، والطلب المنتظر للجواب، والنداء من باب طلب إقبال المولى على العبد، والتمني. والسؤال نوع من الدّعاء والإجابة له إجابة للدعاء، وعبّر عنها النص القرآني بالإتيان(وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ)(إبراهيم:34)

ويميّزُ المعنى اللغوي في مادة(دعو)السّمة الصوتية التي يتصف بها الدّعاء إذ يعني الدعاء((أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك))[7] والوظيفة التداولية للدعاء هي تحويل الشيء لصالحك بوساطة الصوت، وهو من النداء، والفرق بين الدّعاء والنّداء ((النداء هو رفع الصوت بما له معنى... والدّعاء

يكون برفع الصوت وخفضه، يقال: دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي، ولا يقال: ناديته في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل))[8]، فكلّ دعاء هو نداءٌ؛ لأنّ فيه طلبَ الإقبال، وقد يكون برفع الصوت أو بدونه، وليس كلُّ نداءٍ دعاءً؛ لوجوب توفر رفع الصوت فيه، والدعاء يمكن أنْ يكونَ بغير رفع الصوت وإن كان الاشتراك فيهما في طلب الإقبال، وهناك فرق آخر إذ((الدّعاء كالنداء إلا إنّ النداء قد يقال بـ(يا) أو (أيا) ونحو ذلك من غير أن يضم إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلا إذا كان معه الاسم نحو: يا فلان، وقد يستعمل كل واحد منهما موضع الآخر))[9].

ب ـ الدعاء اصطلاحاً

أثبت الباحثون مجموعةً من التّعريفات الاصطلاحية للدّعاء نختار منها:

1 ـ أنّه ((الطلب على سبيل التضرّع، أي التذلّل والخضوع))[10].

2 ـ هو ((شعور الإنسان بالفقر الوجودي المطلق بين يديّ الغني الوجوديّ المطلق، وهو إذعان بالعبودية العاجزة أمام الرّبوبيّة القادرة فإذا وصل حبل الدعاء بين الفقر والغنى وبين العبودية والربوبية خرج الإنسان من الضعف إلى القوة ومن النقص إلى الكامل))[11].

3ـ وقيل إنّه الإقبال من ((العبد على ربه بالحاجة والطلب والسؤال ويقبل الله تعالى على عبده بالإجابة ويخصه بها))[12].

4ـ والدعاء كذلك ((الرغبة إلى الله - تعالى- وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة والخضوع، وقد يطلق على التمجيد والتقديس لما فيه من التعرّض للطلب))[13].

ج ـ الإجابة لغةً واصطلاحاً

أ ـ الإجابة لغةً

دار البحث الدلالي المعجمي حول هذه المادة، وذُكر فيها((جَوَابُ الْكِتَابِ مَعْرُوفٌ وَجَوَابُ الْقَوْلِ قَدْ يَتَضَمَّنُ تَقْرِيرَهُ نَحْوُ نَعَمْ إِذَا كَانَ جَوَابًا لِقَوْلِهِ هَلْ كَانَ كَذَا وَنَحْوُهُ، وَقَدْ يَتَضَمَّنُ إِبْطَالَهُ وَالْجَمْعُ أَجْوِبَةٌ وَجَوَابَاتٌ وَلَا يُسَمَّى جَوَابًا إِلَّا بَعْدَ طَلَبٍ وَأَجَابَهُ إِجَابَةً وَأَجَابَ قَوْلَهُ وَاسْتَجَابَ لَهُ إِذَا دَعَاهُ إِلَى شَيْءٍ فَأَطَاعَ وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ قَبِلَهُ وَاسْتَجَابَ لَهُ كَذَلِكَ... وَجَابَ الْأَرْضَ يَجُوبُهَا جَوْبًا قَطَعَهَا وَانْجَابَ السَّحَابُ انْكَشَفَ))[14]، فكان لهذه المادة معانٍ منها إقرار الشيء، والرد على الكتاب، والرد على الاستفهام، والرد على السؤال، وقبول الدعاء، والقطع في الأمر، والكشف، وكل جواب هو ردّ لطلب.

والإجابة من الجواب ((وهو الذي يُقابِلُ الدُّعاءَ والسُّؤَال بالعَطاء والقَبُول سبحانه وتعالى وهو اسم فاعل من أَجاب يُجيبُ والجَوابُ معروفٌ ترَديدُ الكلام والفعْل أَجابَ... جُبتُ الأَرضَ إِذ قَطَعْتَها بالسير على معنى أَمْضَى دَعْوَةً وأَنْفَذُ إِلى مَظانِّ الإِجابةِ والقَبُول))[15]، فالإجابة تدلّ على الإعطاء، والقبول، والقطع وإمضاء الأمر.

ب ـ الإجابة اصطلاحًا

إنَّ الإجابة في الاصطلاح هي: ((إقبال من الله تعالى على عبده كما أن في كل دعاء إقبال من العبد على الله تعالى))[16]، وهي الحصول على المراد والمنى((استجاب وأجاب واحد ومعناه قطع مسألته بتبليغه مراده من الجواب بمعنى القطع)) [17].

بعد أنْ اتضحت المعاني اللغوية والاصطلاحية لعنوان البحث أتوجّه في ضوء هذه المعاني نحو النص القرآني الذي أعطى الباحث كثيراً من الأدعية على

ألسنة العباد الصالحين والمجابة من الله تعالى، فأضعها في إطار التَّحليل اللغوي في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: الدعاء وإجابته المباشرة:

أي المقصود استعمال ألفاظ صريحة في الإجابة منها استجاب أو استجبنا، أو أُجيبت... تتألفُ بنيةُ الدّعاء لغويًا في ضمن الإنشاء الطلبي، وهو عند البلاغيين:((ما يستلزم مطلوبًا ليس حاصلًا وقت الطلب))[18]، والدّعاء: هو طلب لفعل أو لشيء ما أو طلب للكفّ عن فعل أو شيء ما، ويتم بشكل أساس بالأمر والنهي على وجه الطلب من الأدنى إلى الأعلى رغبة ورهبة وأملًا ((إنَّ الدعاء بمنزلة الأمر والنهي، وإنما قيل:" دعاء "لأنه استعظم أن يقال: أمر أو نهي، وذلك قولك: اللهم زيداً فاغفر ذنبه، وزيداً فأصلح شأنه، وعمراً ليجزه الله خيراً. وتقول: زيداً قطع الله يده، وزيداً أَمَرَّ اللهُ عليه العيشَ؛ لأنَّ "معناه معنى" زيداً ليقطع الله يده))[19]، وكذلك خروج بعض صيغ النداء إليه والنداء في الأصل طلب الإقبال وبالأخص ما كانت متصدرة بـ(ربِّ أو يا ربِّ)وكذلك التمني والاستفهام مع بعض الألفاظ الدالة على الدعاء.

أما الإجابة فالمقصود بها في هذا البحث هو نتيجة الطلب (نتيجة السؤال) وما يترتب عليه من أثر واقعي بمعنى الظهور الواقعي للإجابة بالإجابة اللفظية أو بظهور الإجابة بشكل واقعي بتحقق أمر سَبَبه الدعاء، وليس المقصود منه جواب الطلب اللغوي الذي يعد الدعاء جزءاً منه بل من باب الإجابات (الجوابات) الحاصلة في القرآن[20] ومن باب حصول الأماني والرغبات المشروعة بوساطة السلطة العليا الله فالمعنى الجامع لمادة الإجابة ((هو القبول وحصول المراد وأمّا لطف التعبير بهذه المادّة دون كلمة القبول والحصول وغيرهما: فانّ المادّة تدلّ على إصلاح الأمر من المبدأ وتحقّق الجريان

الطبيعي بنحو ترتّب العلَّة والمعلول، وهو النفوذ والتأثير وتحققّهما وتقويتهما حتّى يحصل القبول))[21].

والنص القرآني ينقلُ للمتلقي كثيرًا من الأدعية المؤثرة في النفس وإجابتها؛ لأنّها تصوّرُ حالات الضعف الإنساني عند كبار الأنبياء والرجال الصالحين الذين هم قدوة للبشرية كافةً، وهي توحي بالفقر الدائم في الإنسان مهما بلغ من مراتب القوة والاقتدار، وقد اصطفى المبدع لتلك الصور من الأساليب ما يقدر على إيصالها في أعلى درجات البلاغة في نسقي الدعاء والإجابة، وقد برزت الصيغ والأساليب الآتية:

1- الدعاء بأسلوب الأمر والإجابة بالجملة الخبرية الماضوية:

إنَّ الأمر قد يُراد به طلب الفعل من الأدنى إلى الأعلى الخارج لغرض الدّعاء((واعلم أن الدّعاء بمنزلة الأمر والنهي))[22]، ويشترط في الأمر أنْ يُستعمل في طلب الفعل على سبيل التضرع[23]، والنص القرآني يخلقُ نسقَه الدعائي بوساطة أفعال الأمر المتتالية(قنا، اغفر، كفّر، توفّنا، آتنا) التي تدفع النفوسَ إلى البوح الجماعي بإلحاح بجميع الحاجات ولاسيما الحاجات المصيرية كالخلاص من النار، وغفران الذنوب وتكفير السيئات والتوفي مع الأبرار وإتيان الوعد الإلهي وكانت الإجابة عنها بالفعل الماضي، قال تعالى: (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ❖ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ❖ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ❖ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ❖ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا

مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ)(آل عمران 191-195) ويمكن أنْ نرتّب التَّحليل النَّصي للدعاء والإجابة بهذه الفقرات وبوساطته يمكن ملاحظة تغييرات الأنساق:

أ. تألَّف المقطع الدّعائي من نسق مؤلف من مقدمة دعائية يذكر فيها الدعاة أنَّ المدعوَ حكيمٌ، ومنزهٌ عن كلِّ عيبٍ، وخالق كلِّ شيءٍ، وبيده كلّ شيءٍ؛ لذا يستحقُ أن يطلبَ منه، فبدأ الدّعاء بـ(ربَّنا) وبعده إضافة المصدر للتنزيه الإلهي(سُبْحَانَكَ)((وفي ذلك تعليم العباد أدب الدعاء بتقديم الثناء قبله))[24]، وهو نسق تعليمي، مع استعمال أفعال الأمر الخارجة إلى الدعاء، واستعمال لا الناهية والفعل المضارع الخارج للدعاء أيضًا، أما الإجابة فتأتي بنسق الإجابة المباشرة باستعمال ألفاظ صريحة في الإجابة فكانت بعبارة (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ) مختصرة جميعَ المطالب بالفعل الماضي الدال على تحقيق المطالب على مقتضى الطلب إذ((صيغة الماضي هنا للإيذان بتحقيق الاستجابة وتقررها... فإن الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم))[25].

ب. الحذف والاختصار في الدّعاء، نسق سببه القرب والحب فبدأ الدعاءُ بنداءٍ محذوف الياءِ(رَبَّنَا)، والحذف للياء لتحقيق الاستجابة السريعة، وقيل للقربِ المعنوي للداعي من المدعو، فحذفُ ياء النداء((قد يكون...لقرب المنادى من المنادي، سواء كان القرب حقيقيًا ماديًا، أم معنويًا،فكأنّ المنادى لقربه لا يحتاج إلى واسطة لندائه، ولو كان حرف نداء))[26]، وتكرر(رَبَّنَا) بدون الياء؛ لاجتلاب رحمة الله، إذ وجود الياء لجلب الانتباه، فإذا توجّه الداعي إلى الله بشكل جدي توجه الله إليه، وعندها يحذف ﴿يا النداء للقرب﴾ الذي وصل إليه، فالدّعاء المفتتح بـ(يا ربّنا، أويا ربّي، أو ربِّ...) ((لاستجلاب رحمة الحق تعالى...إنَّ من أدب الدعاء البدء بتكرار نداء يا رب...فإذا أدى ذلك يُحذف حرف النداء الياء...لأنّ حرف النداء يستخدم عندما يريد الإنسان جلب انتباه أحد إليه، فإذا طوى هذه المرحلة،

وارتقى واقترب، وحصل له القرب المعنوي... يحذف ياء النداء))[27]، والتكرار يوجب الإجابة ((وتكرير {رَبَّنَا} من باب الابتهال، وإعلام بما يوجب حسن الإجابة وحسن الإثابة))[28] فظهرت الإجابة للنداء والدعاء المحذوف بلفظ استجاب، وتحول ضمير الرب الذي نسبوه لأنفسهم في الدعاء إلى ضمير متكلم دلّ على الذات الإلهية في تعبير(أنّي) في الإجابة المؤكد لهم، وكان التركيب التفصيلي مؤكدًا بـ(أنّ)والقسم وتوكيده من أبلغ التوكيدات: فقد جاءت بالتوكيد بـ(أنّ)+القسم المقدر+اللام الموطئة للقسم+الفعل المضارع المؤكد بنون التوكيد الثقيلة مرتين:(لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ).

ت. التكرار والتوكيد: تكرر الاسم الإلهي(رَبَّنَا) أو ما دلَّ عليه من ضمير مع الأفعال الدالة على الدعاء (فَقِنَا، فَاغْفِر، وَكَفِّرْ، وَتَوَفَّنَا) مع استعمال الفعل المضارع الدال على النهي الخارج للدعاء(وَلَا تُخْزِنَا) والمطالب خمسة أيضًا مقابل تكرار(رَبَّنَا) في المقطع، وفي ذلك عناية خاصة من المدعو وتعظيم له، وتوجه للداعي، وهو من فوائد التكرار كما عند أهله((رَبَّنَا تكرير... للتضرع وإظهار لكمال الخضوع))[29]، وقد كانت استجابة الدعاء لجميع المطالب، ولكن تجب ملاحظة مهمة، ونكتة لطيفة، وهو تكرار الداعي للمدعو مما يظهر أهمية المدعو للداعي وعنايته به فضلا عمّا يحدثه التكرار من التماسك النصي فقد تكرر اللفظ الدال على المدعو من بداية المقطع المتمثل بالدعاء إلى آخره: فقد وردت (رَبَّنَا) خمس مرات + الضمير في (خَلَقْتَ)+ الضمير في (سُبْحَانَكَ) + الضمير في فَقِنَا + الضمير في (إِنَّكَ) + الضمير في (تُدْخِلِ) + الضمير في (أَخْزَيْتَهُ) + الضمير في (بِرَبِّكُمْ) + الضمير في (فَاغْفِرْ لَنَا) + الضمير في (وَكَفِّرْ عَنَّا) + الضمير في (وَتَوَفَّنَا (+ الضمير في (وَآتَنَا) + الضمير في (وَعَدْتَنَا) + الضمير في (وَلَا تُخْزِنَا) + الضمير في (إِنَّكَ)، فحقيقة التكرار هو ((إلحاح على جهة هامَّة من العبارة، يُعْنَى

بها...أكثر من عنايته بسواها، وهذا هو القانون... في كل تكرار يخطر على البال، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة مهمة حسّاسة في العبارة، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها))[30]، أما التحول مع التكرار في جهة الإجابة، وتكررت الدلالة على المستجيب(الله) مرات متعددة(ربهم، والياء في أني، والضمير في أُضيعُ، والياء في سبيلي، والضمير في لَأُكَفِّرَنَّ، والضمير في لَأُدْخِلَنَّهُمْ+ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ) وهذا التكرار في الإجابة يختلف عن جهة الدعاء فقد كان في جهة الدعاء أما بعنوان الطلب أو الخطاب بعنوان الباث المرسل وفي جهة الإجابة بظهور عنوان المتكلم أو المعبر عنه وهو (المستقبل، المتلقي)أي المعبر عن الجهة العليا المستجيبة والمستجمعة لصفات الكمال والجمال.

ث. دلالة فعل الدعاء على الاستقبال ودلالة فعل الإجابة على الماضي: أفعال الأمر الدالة على الدّعاء تحمل دلالة الزمن المستقبل، والفعل المضارع يدلُّ على الحال أو الاستقبال على رأي سيبويه[31] وجاء في النص الفعلُ المضارع الدال على النهي الخارج للدعاء (وَلَا تُخْزِنَا) وفي هذا الحال يكون دالًّا على الاستقبال؛ لأنّه أشبه بأسلوب الأمر تداولياً في مقام يُنشئ الخطابُ من الداني منزلةً إلى السامي رتبةً، فالإجابة بالفعل الماضي بقوله تعالى (فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ).

2- الدعاء بأسلوب الشرط والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية:

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ❖ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(يوسف33- 34) مقدمة دعائية لعدم جواز طلب الشر من قبل الأنبياء والسجن من الشر، ولكنه أقل شراً مما يدعون يوسف (عليه السلام) إليه ونجد الدعاء بالفعل المضارع على شكل شرط منفي(إِلَّا تصرف) بمعنى إلهي اصرف عني الكيد وهو دعاء لاشك فيه متحول

إلى معنى الطلب؛ لذا تحققت في ضوئه الإجابة بالجملة الفعلية الماضوية كما نصت الآية (فَاسْتَجَابَ لَهُ).

3- الدعاء بالجملة الفعلية الماضوية والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية

قال تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ❖ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)(الأنبياء 76 – 77)

في الدعاء نَادَى الضمير دال على المفرد والدعاء بالماضي أي بالخبر الذي يتحول إلى الدعاء، ولم يذكر سبب النداء، الإجابة مباشرة بدلالة الفاء التي تدل على التعقيب والاستجابة السريعة[32] (فَاسْتَجَبْنَا) والتغيرات النسقية عن الدعاء في الضمير في الإجابة دال على الجماعة تعظيماً والإجابة بالماضي، ذكر ما أجابه الله لنوح (عليه السلام) من نجاته وأهله من الكرب العظيم مع النصر له بإغراق المذنبين، وهي أمور لم تذكر في الدعاء.

4- الدعاء بالجملة الفعلية المضارعية والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية:

قال تعالى:(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) (الأَنْفال 9)

(تَسْتَغِيثُونَ) مضارع والتغيرات في النسق واضحة في الإجابة، فالدعاء بالفعل المضارع والإجابة بالفعل الماضي(فَاسْتَجَابَ) المختلف عن فعل الدعاء (تَسْتَغِيثُونَ) في الصيغة، والأصل اللغوي(المادة)، والزمن، فاللفظ المشابه للفظ الدعاء (تَسْتَغِيثُونَ)، (فأغاثكم) ولكن النص عدل عنه إلى (فَاسْتَجَابَ) لما فيها من تحقق المراد، فالدعاء بالفعل المضارع (تَسْتَغِيثُونَ) الدال في معناه القرآني والمعجمي على الطلب مع رفع الصوت بطلب النصرة والإنقاذ من الابتلاء والشدّة وجعل المستغيث في كنف المستغاث أو نزول الغيث (المطر) أو طلب الرحمة[33]+ المطلوب منه المعبر عنه (بالمفعول به النحوي) وهو الله وقد نسبته الآية لهم وهو لفظ (رَبَّكُمْ) وتقابله الإجابة (فَاسْتَجَابَ) بالفعل الماضي دلالة

على تحقق طلبهم بتحقق الاستغاثة، وهو أبلغ من أجاب لوجود السين المزيدة ولابد للزيادة من معنى؛ لأنّ زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، وهنا دلّت الزيادة على تحقق المراد(الدعاء) فمعنى ((الاستجابة الجواب بحصول المراد؛ لأنَّ زيادة السين تدل عليه إذ هو لطلب الجواب، والمطلوب ما يوافق المراد لا ما يخالفه))[34] ففي أجاب قد يكون هناك ردٌّ ولكن لا يحقق المراد أما في (اسْتَجَابَ) فقد تحقق الطلب مع تحقق المراد[35]، وهو النصر والمد بالملائكة المنزلين من السماء كالغيث.

5- الدعاء بأسلوب النهي والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية:

أسلوب النهي، وهو طلب الكفّ عن الفعل بشرط أنْ يُستعمل على سبيل التضرع مثل قول المبتهل لا تكلني إلى نفسي، فيسمى دعاءً[36]، ويصدر من مرتبة الداني إلى العالي، ويتم بالفعل المضارع ولا الناهية((واعلم أنّ هذه اللام ولا في الدعاء بمنزلتهما في الأمر والنهي، وذلك قولك: لا يقطعْ الله يمنيك، وليجزك الله خيراً))[37]، وظهرت هذه الصيغة الدعائية في قوله تعالى:(وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ❖فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ)(الأنبياء89-90).هذا النص يتحدثُ عن النبي زكريا(عليه السلام) وهنا حذف الفعل الذي قبل(إذ) وتقديره: (واذكر إذ)؛ لأنَّ الزمن مضى، وهذا الأمر غالب في القصص القرآني[38] ثم حذف ياء النداء مع تكرار كلمة(ربِّ)وهو((نداء الحبيب القريب فقال:{ ربِّ} بإسقاط أداة البعد))[39] أي الياء، ويأتي فعل الدّعاء بصيغة لا الناهية والفعل المضارع(لَا تَذَرْنِي فَرْدًا) أي وحيداً الذي يدلّ بالملازمة على طلب الذرية بمعنى((ارزقني ولداً ثم قال" وأنت خير الوارثين "ومعناه أنت خير من يرث العباد من الأهل والولد، فقال الله تعالى: إنا استجبنا دعاءَه "وهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه"))[40]، جاءت الإجابة بلا فاصلة وفورية عقيب

الدعاء((وكانت الاستجابة سريعة مباشرة))[41]، بلفظ (فَاسْتَجَبْنَا) ويدل عليها الفاء التي تفيد التعقيب[42] الموجودة في الفعل (استجبنا) وهو فعل ماض يدل على تحقق الفعل.

المبحث الثاني: الدعاء وإجابته غير المباشرة

وهي مجيء الإجابة مع حذف لفظ استجاب أو أجاب ومشتقاتهما وهي على قسمين:

أ- ألفاظ مباشرة تشعر بالإجابة:

1. **الدعاء بصيغة الأمر والإجابة بالجملة الاسمية:** ويتواصل النص القرآني مع المتلقين في تقديم الدّعاء بنسق أفعال الأمر الحاكية عن ارتباط الداعي بالغني الكريم في ظلّ الرحمة التي يأوي إليها المخلصون من الأنبياء (عليهم السلام) ومن أولئك الأنبياء النبي زكريا (عليه السلام) في قوله تعالى: (كهيعص❖ ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا❖ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا❖قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا❖وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا❖يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا❖يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا❖قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا❖قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا❖ قَالَ رَبِّ) (مريم1-10).

ينفتح هذا النصّ في لغته على فهم متعدّد تُبديه آلياتُه اللغوية النسقيَّة والدلالية، ويمكن أن نُفيد منه ما يأتي[43]:

أ. **الدعاء بصيغة الأمر الإجابة بالجملة الاسمية:** إنّ لغة النَّص تتمحور حول أبنية فعل الأمر الخارج للدعاء(فَهَبْ، وَاجْعَلْهُ، اجْعَلْ لِي آيَةً) وبوساطتها يُؤسس الدّعاءُ نسقَه ونظامَه المتضمنَ قصدَ زكريا(عليه السلام) إذ كان يُريد وليًا، وأنْ يكونَ رضيًا في الوقت نفسه، وكان يطلب آيةً غير محددة بدلالة تنكير كلمة(آية)، والإجابة لم تأتِ بلفظ مباشر كما في المبحث الأول أي لفظ أجاب ومشتقاتها وإنما جاءت بألفاظ تدل على الإجابة منها ما جاء في هذه الآيات إذ استعمل لفظ: (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى) ردا على دعائه وهي جملة اسمية دلت بنسقها على حصول الأمر لزكريا(عليه السلام) وثبوته له؛ لدلالة الجملة الاسمية على الثبات والدوام[44]، والإجابة بالجملة الاسمية عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

ب. **الدّعاء مسبوقٌ بالحروف المقطعة** التي تُعدُّ آيةً معجزةً من آيات الله كما أنَّ استجابة الدّعاء لزكريا(عليه السلام) يُعدُّ آيةً معجزةً ورحمةً من الله؛ لذلك أوجد المبدعُ انسجامًا بين مفتتح السّورة وبين النّسق الدّعائي وبين الإجابة التي جاءت بمعجزة إذ الأمر(رزق زكريا وليا منه ومن زوجه: إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي + وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا) وعلى وفق الأمور الطبيعية لا يمكن أن يتم ولكن اللطف الإلهي حوله إلى أمر ممكن.

ت. **في الآيات الشريفة رادف القرآن بين لفظ النداء والدّعاء** بدليل أنّ القرآن أخبر عن فعل الداعي بـ(نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) ولخّصه الداعي نفسه بقوله المرادف(بِدُعَائِكَ)وجاءت الإجابة عليهما (إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى).

ث. استعمل(رَبِّ) بلا حرف النّداء للقرب المعنوي((بلا واسطة حتى ولا حرف النداء))[45].

2. **الدعاء بأسلوب الاستفهام والإجابة بالجملة الاسمية:** الدعاء جملة استفهامية (أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) فجاءت الإجابة بالجملة الاسمية (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

3. **الدعاء بالأمر والإجابة بالجملة الاسمية:** (اجْعَلْ لِي آيَةً) والإجابة بالجملة الاسمية (آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا) عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.
4. **الدعاء بلام الطلب والفعل المضارع والإجابة بالجملة الاسمية:** قال تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)(الزخرف 77) النداء هنا خارجٌ للدعاء بصيغة فعل الجماعة(نادوا)+ياء النداء+ المنادى(مالكُ)+لام الأمر والفعل المضارع(لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) بمعنى فعل الأمر: اقض علينا يا الله والدعاء من أصحاب النار لله بوساطة الملك، فلم يقولوا(لتقضِ علينا) لأنَّ القاضي الحق هو الله ولكنهم محجوبون عنه ولا يحق لهم الكلام المباشر((وخطابهم مالكاً بما يسألونه من الله سبحانه لكونهم محجوبين عنه كما قال تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) المطففين:15))[46]، فجاءت الإجابة من الملك بالجملة الاسمية المؤكدة (إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ)عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.
5. **الدعاء بأسلوب النهي والأمر والإجابة بفعل الأمر:** قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ❖ فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ❖وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ❖ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)(يونس 84-87) يظهر الدعاء بنسق أسلوب النهي ممهَّداً إليه بالنداء بـ(ربنا)+ (لا) الناهية والفعل المضارع(لَا تَجْعَلْنَا)+ فعل الأمر(وَنَجِّنَا) وقدّم النصُ توكلَهم على الله؛ لينجيَهم من فرعون وملئه فالنهي دعاءٌ منهم نتيجة توكّلهم وسؤالُهم ربَّهم أنْ لا يجعلهم فتنةً للقوم الظالمين هو أنْ يسلبَهم الضعفَ والذلةَ؛ لأنَّ الذي يُغري القويَ الظالمَ على الضعيف المظلوم هو ما يشاهده فيه من الضعف، فيفتتنُ به فيظلمه[47]. فجاءت الإجابة

بنسق فعل الأمر أو أفعال تتحول إلى الأمرية وهي: (أَنْ تَبَوآ + وَاجْعَلُوا +وأَقِيمُوا + وَبَشِّرِ) ولم تكن إجابة مباشرة بأجاب ومشتقاتها.

6. **الدعاء بأسلوب الشرط والإجابة بفعل الأمر:** (قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ❖قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ)(الأعراف23 ـ 24)(وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) أسلوب شرط يتحول إلى طلب على شكل أمر ومنه يتحول إلى دعاء بمعنى اغفر لنا وارحمنا، والإجابة جاءت بفعل أمر(اهْبِطُوا)عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

7. **الدعاء بالجملة الاسمية وفعل الأمر والإجابة بالجملة الفعلية(الماضوية):** (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ❖فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ❖فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ❖وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ❖وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ❖ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ❖وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ❖فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)(القمر9- 16)

وصف لحالة قوم نوح(عليه السلام) وتكذيبهم له يدعوه لطلب النصر من القوة العليا والقدرة الكبرى (أَنِّي مَغْلُوبٌ+ فَانْتَصِرْ) فكانت الإجابة (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ+وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا+ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ+ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ) وكيفية طلب النصر لم يطلبها نوح وجاءت من الله أن نصرك بالمطر وفيضان الأرض وتحملك السفينة وتنجو منهم وتنتصر وهذا الأمر كله يجري بعنايتنا وما ذكر في الإجابة لم يذكر في الدعاء فالأنساق اختلفت بين الدعاء والإجابة فَفَتَحْنَا+ وَفَجَّرْنَا+حَمَلْنَاهُ+ تَجْرِي+ تَرَكْنَاهَا) أفعال الإجابة الغالبة أفعال ماضوية عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

8. **الدعاء بالجملة الفعلية المضارعية والإجابة بالجملة الفعلية(الماضوية):** قال تعالى:(قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ❖ وَأَعْتَزِلُكُمْ

وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ❖ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ❖ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا)(مريم41- 50) الدعاء بالفعل المضارع (سَأَسْتَغْفِرُ + وَأَدْعُو+ أَكُونَ) --- الإجابة بالفعل الماضي (وهبنا + ووهبنا) عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

9. **الدعاء بالجملة الفعلية(المضارعية) والإجابة بفعل الأمر:** (وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)(البقرة 60) .

طلب موسى الماء أو (المطر) لقومه من الله بالفعل اسْتَسْقَى الدال في بنائه الصرفي على الطلب، والذي يعد من أبرز المعاني وأشهرها في صيغة (استفعل)[48] وبهذا الطلب كأنه طلب لهم الحياة لما عانوه من الجفاف الذي يؤدي إلى الهلاك { وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}(الأنبياء 30) ((والسقي إحياء موات شأنه أن يطلب الإحياء حالاً أو مقالاً)) [49]، وجاءت الإجابة بفعل الأمر(اضْرِبْ) الذي حول الفعل إلى حقيقة واقعة بدلالة ما جاء بعده من الفعل الماضي (فَانْفَجَرَتْ) عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

10. **الدعاء بالجملة الاسمية والإجابة بفعل الأمر:** قال تعالى: (وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ❖وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ❖فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ❖ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ❖وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) (الدخان20-24).

عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ+ فَدَعَا رَبَّهُ الإجابة (فَأَسْرِ+ وَاتْرُكِ+ حالة وصفية) لسبب ما دعا نبي الله موسى لاستعمال الدعاء والالتجاء وطلب العون فكانت الجملة الاسمية المؤكدة بـ(إنَّ) واسمها ضمير

المتكلم+ الخبر جملة فعلية فعلها الفعل الماضي الدال على الالتجاء وطلب الحماية والاعتصام (عُذْتُ)[50] وكذلك فاعله الضمير المتكلم + شبه جملة فيها يذكر موسى إلى من وجه استعاذته فذكر أنه عاذ بربه وربهم(الله) وهو رب الجميع على الحقيقة لا الأرباب المتفرقة التي يعبدون + الشيء المستعاذ منه وهو رميه بالتهم وطرده وشتمه أو رميه بالحجارة ظنا وظلما وتوهما[51] ثم خيّرهم بالإيمان أو الاعتزال عنه بالجملة الشرطية (وَإِنْ +لَمْ تُؤْمِنُوا لِي+ فَاعْتَزِلُونِ) + ثم جاء بالدعاء بالفعل (دعا)بمعنى طلب واستغاث[52] + الفاعل الضمير المستتر الدال على الطالب في حين أظهر من وقع عليه تأثير فعل الفاعل(المفعول به النحوي) الدال على من توجه إليه الطلب(رَبَّهُ) مع إظهار الضمير الدال عليه، واستعمل في ذلك كله الجملة الخبرية فجاءت الإجابة فورا ودون فاصلة فلم يقل(استجبنا) أي هناك حذف دلَّ عليه السياق وتقديره (استجبنا له) وجاءت الإجابة بفعل الأمر فَأَسْرِ بِعِبَادِي وخصص الله الوقت الذين يسرى بهم وهي الحركة الليلية ولم يكن في الطلب الخلاص ليلا أو نهارا وفي الإجابة كان الأمر بالخلاص ليلا ونسبهم الله لنفسه عبادي أي المؤمنون حصرا، وَاتْرُكِ الْبَحْرَ ساكنا واجعل في فيه طريقا واسعا والرهو ((هو انخفاض مطمئنّ بين ارتفاعين. وفي هذا المعنى يلاحظ ثلاثة قيود، الانخفاض، الاطمينان، الوقوع بين الارتفاع))[53] وهو ما كان في الواقع إذ كان البحر كالجبلين والطريق المستقيم الواسع المطمئن كالوادي بين ارتفاعين، وقد عبرت عنه آية أخرى { فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } (الشعراء 63)، فالنصر حليفك وهم مهزومون (إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ) أي جاءت الإجابة بأفعال أمر + جمل خبرية مؤكدة بأكثر من توكيد. فكان الاختلاف في نسق الدعاء وإجابته من هذه الجهة عوضاً عن أجاب ومشتقاتها.

11. **الدعاء بفعل الأمر والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية:** قال تعالى: (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ❖ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا❖ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا) (الكهف10-12). الدعاء بأفعال أمر (آتِنَا +وَهَيِّئْ) والإجابة جاءت بأفعال ماضية (فَضَرَبْنَا+ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ) عوضاً عن أجاب ومشتقاتها وكان في نسق الإجابة حذف مع تغيير في الأسلوب: فالضرب على آذانهم يتحول إلى رحمة ((أي أجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب عن نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة؛ لأنّ النائم إنّما ينتبه بسماع الصوت وبيّن سبحانه بهذه العبارة على أنّهم لم يموتوا وكانوا نياما في أمن وراحة، وهذا من فصيح لغات القرآن الَّتي لا يمكن أن يترجم بمعنى أحسن من هذا المعنى، وكناية عن الإنامة الثقيلة الشبيهة بالموت من دون الموت والمفعول في قوله: (فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ) محذوف أي فضربنا حجابا على آذانهم سنين ذات عدد كثيرة))[54].

12. **الدعاء بفعل الأمر والإجابة بالجملة الاسمية:** قال تعالى: (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ) (الأعراف38) الدعاء بأسلوب الأمر (فَآتِهِمْ)، وظهرت في النص الإجابةُ بطريقة غير مباشرة، فالدعاء وصف لحال الداعي في عالم الآخرة وهو لمن كتب عليه العذاب، وهم كثرٌ؛ لذا طلبوا من الله بصيغة (ربَّنا) لشعورهم بالقرب وانكشاف الحقائق في ذلك العالم بدون حرف النداء + الوصف لحالهم + الطلب بفعل الأمر الدال على الدعاء، فجاءت الإجابة على الطلب بالجملة الاسمية المؤكدة بتقديم الخبر على المبتدأ (لِكُلٍّ ضِعْفٌ). والإجابة بالجملة الاسمية بمعنى العذاب عليهم مضاعف وثابت، لأنَّ الجملة الاسمية دالة على الثبات.

ب- الإجابة غير المباشرة: المفهومة من السياق:

1. الدعاء بفعل الأمر والإجابة تستشعر من السياق: قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ❖وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ❖رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ❖رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ❖وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)(البقرة126-130)

بدأ الدعاء بوصف حالة الداعي إبراهيم(عليه السلام) بالفعل (قال) وهو خبر عن دعائه. و الدعاء بالنداء (ربّ) التي حذفت منها ياء النداء؛ لقرب إبراهيم (عليه السلام) من ربّه، ثم يأتي النسق اللغوي بفعل الأمر الدال على الدعاء(اجعل) والملفت للنظر لفظ(بلد) في هذه السورة نكرة، وذكرها في دعاء إبراهيم في سورة إبراهيم معرفة(البلد) ولابد في الدعاء من فرق بين الآيتين. فربما في الحالة الأولى أن البيت لم يبنَ بعدُ. وفي الحالة الثانية كان البيت قد بني، وصار البلد معروفاً بعد أن كان نكرةً. وقيل إنّ التنكير هو من باب التعظيم للبلد؛ لأنَّ دعوة إبراهيم (عليه السلام) كانت عامةً والتقيد الحاصل في الآية للإمامة، وعلى الرغم من ذلك نال الكافرُ الأمنَ والتمتعَ من الله بسبب دعوة إبراهيم[55]، ثم ينسجُ النص نسقَه بأسلوب الأمر بعد نداء (ربنا) إذ تعددت المطالب من إبراهيم وإسماعيل في تتابع أفعال الأمر(تَقَبَّلْ مِنَّا + وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ + وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا + وَتُبْ

عَلَيْنَا) التي أفادت الدعاء، وكذلك فعل الأمر في(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) خارجٌ للدعاء الذي أُفرد عن الأفعال السابقة؛ لأنَّ الدعاءَ مختصٌ بالرسول الأعظم(صلّى الله عليه وآله) ليكونَ رسولاً إلى الناس كافة، فالآيات توحي بقبول عمل إبراهيم -عليه السلام- كلّه، ومنه الدعاء وهو من المصطفين في الدنيا وفي الآخرة من الصالحين، ومن يرغب عن أعمال إبراهيم وسنته إلا السفهاء الذين امتهنوا أنفسهم واحتقروها، فضلًا عن ذلك الظهور الواقعي لآثار دعائه، فقد تكررت الآيات الدالة على علو شأن إبراهيم وإسماعيل-عليهما السلام- وظهور النبي الأعظم(((ربنا وابعث فيهم)أي الأمة المسلمة التي من ذريتي وذرية ابني إسماعيل (رسولاً منهم)ليكون أرفق بهم وأشفق عليهم، ويكونوا هم أجدر باتباعه والترامي في نصره، وذلك الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره، فهو دعوة إبراهيم عليه السلام أبيه))[56] فالإجابة فُهمت من السياقات القرآنية.

2. **الدعاء بفعل الأمر مع أسلوب النهي والإجابة تستشعر من السياق:** قال تعالى: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ❖ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ❖وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ❖ وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ❖ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ❖ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ❖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ❖ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ❖وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ) (الشعراء 83 - 91) يجري النسقُ التركيبي في تتابع فعلي بصيغة الأمر في خمسة أفعال متتالية كلّها للدعاء (هَبْ/ أَلْحِقْنِي/ اجْعَلْ/ اجْعَلْنِي/ اغْفِرْ) ومنها تبدأ أدعية إبراهيم الخليل، فبعد أن دعا قومه الضالين نحو الله تعالى يتجه بوجهه نحوه سبحانه ويعرض عنهم، فإنه يطلب من الله كل ما يحتاجه؛ ليكشف أنّ كل حاجة تُسأل من الله؛ لأنّ ربوبيته مطلقة[57]، ثم يعدل هذا النسقُ من الأمر إلى أسلوب النهي(وَلَا

تُخْزِنِي) في نهاية الدعاء من غير أنْ تتغير دلالة النص العامة وهي الدعاء، فالأسلوبان يتآزران في إنتاج المعنى بوساطة الرابط اللفظي(الواو)الذي يوحّد التراكيب وكلماتها في ترتيب دقيق يبدأ بقصد الداعي في طلب الحكم في الدنيا ثم الذكر الحسن بعد وفاته، وينتهي بعدم الخزي في النشأة الآخرة ((والخزي عدم النصر، ممن يؤمّلُ منه النصر... ويُعلم من سؤاله عدم الإخزاء يوم القيامة أنَّ الإنسان في حاجة إلى النصر الإلهي يومئذ، فهذه البنية الضعيفة لا تقوم دون الأهوال التي تواجهها يوم القيامة إلا بنصر وتأييد منه تعالى))[58]، فجاءت الإجابة غير مباشرة وتفهم من سياق الآية إذ أن إبراهيم(عليه السلام) من المتقين فكل دعواته مجابة وله الجنة مهيأة (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ).

3. **الدعاء بالفعل المضارع مع لا الناهية وفعل الأمر والإجابة تستشعر من السياق:** قال تعالى:(قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ...إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ❖ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ❖ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ)(الممتحنة4-6) الدعاء بالفعل المضارع مع لا الناهية المسبوق ربنا المحذوفة الياء دلالة القرب من الله مع فعل الأمر المتبوع بكلمة ربنا توكيداً وإظهاراً لأهمية المدعو (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً + وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا) ذكرت الآيات دعوات مستجابة لإبراهيم(عليه السلام) وأمرتنا بالاقتداء به إلا في دعائه (لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ شَيْءٍ)؛ لأنّ المصلحة مقتضية عدم الإجابة؛ لأنَّ أباه لم يكن مؤمناً، فإن أردتم الإجابة على دعواتكم فتعلموا من إبراهيم(عليه السلام). فالإجابة متحققة له بدلالة السياق.

4. **الدعاء بلا الناهية والفعل المضارع والإجابة تفهم من السياق:** قال تعالى: (وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ❖ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْصَارًا)(نوح24-25) (وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا) لا الناهية والفعل المضارع خرجت للدعاء واستوجبت إجابة فكل ظالم ضال حمل خطاياه التي تسببت بعقابه وإدخاله النار وقيل كيف يدعو عليهم بالضلال وجوابه ((المراد بالضلال: أن يخذلوا ويمنعوا الألطاف، لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من إيمانهم، وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به، بل لا يحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال: الضياع والهلاك)) [59]، فالإجابة تفهم من السياق؛ لأنَّ الظالم يُغرق ويدُخل في النار.

5. **الدعاء بأسلوب الشرط والإجابة تفهم من السياق:** قال تعالى: (وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا)(النساء 77) استفهام مسبوق بلفظ ربنا يقدم للسائل جوابًا عمّا استفهموا عنه إذ طلبوا البقاء إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، فتجلت الإجابة بأسلوب الأمر(قلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا كلها قَلِيلٌ) ولا يعدّ شيئًا أمام الآخرة فالإجابة تفهم من السياق.

6. **الدعاء بالجملة الاسمية والإجابة مفهومة السياق:** قال تعالى: (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ❖ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (القصص 24 - 25)الدعاء (رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ) الإجابة (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) الطلب إلى الله يحيل الإجابة على الناس، ومجرد التوجه إلى الحضرة الإلهية بالطلب ينتج إجابة دعائية تفهم من السياق.

المبحث الثالث: التَّحولات التَّركيبية بين الدُّعاء والإجابة

يتحرّى الباحث هنا التحولات الحاصلة في الأنساق التركيبية البارزة والتي لها أثر بياني وبلاغي في سياق الدعاء وإجابته، وفي تصوير الأحداث الأساسية في تشكيل فضاء منظومة الدعاء وطبيعة التعامل التداولي بين الأشخاص والذات المقدسة عن طريق فتح أبواب الابتهال والتضرع والتوجه نحو منبع العطاء والفيض الدائم. وقد لمح الباحث مجموعة من التحولات النسقية منها:

1 ـ التفصيل

قال تعالى: (وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ❖ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ)(الأنبياء 76 - 77)

الاختصار واضح في الدعاء (نَادَى)، والدعاء بالماضي وضميره ضمير المفرد الغائب، ولم يذكر هنا سبب النداء، والإجابة كانت مباشرة(فَاسْتَجَبْنَا) بالماضي لتحقق الاستجابة، والضمير هنا(نا) ضمير المتكلم الظاهر الدال على الجماعة لعظمة المجيب، وهنا ذكر ما أجابه الله لنوح(عليه السلام) من نجاته وأهله من الكرب العظيم مع نصره بإغراق المذنبين، وهذه الأحداث لم تذكر في دعاء نوح(عليه السلام) إذ المنادي نوح والإجابة له ولأهله.

قال تعالى: (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ❖فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ❖ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ❖وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ❖وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ❖تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ❖وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ❖ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ)(القمر9-16)الاختصار في الدعاء (أَنِّي مَغْلُوبٌ+ فَانْتَصِرْ) ولكن الإجابة جاءت مفصلة (فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ+وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا+وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ+تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا) وكيفية طلب

النصر لم يطلبها نوح وجاءت من الله أن نصرك بالمطر وفيضان الأرض وتحملك في السفينة وتنجو منهم وتنتصر وهذا الأمر كله يجري بعنايتنا وما ذكر في الإجابة لم يذكر في الدعاء والأنساق اختلفت بين الدعاء والإجابة إيجازًا في النسق الأول وتفصيلًا في النسق الثاني.

2 ـ الإيجاز

قال تعالى:(اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ❖ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي❖ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي❖ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي❖ يَفْقَهُوا قَوْلِي❖وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ❖ هَارُونَ أَخِي ❖ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ❖ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي❖ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ❖ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ❖ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا❖ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى)(طه:24-36) التفصيل في الدعاء وتعداد مطالب موسى عليه السلام فجاء الإيجاز في الإجابة بصيغة المضي المسبوق بـ(قد) التي إذا سبقت الفعل الماضي دلت على تحقق الفعل[60] بـ(قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى) فقد جاءت إحدى عشر آية دعائية مقابل آية واحدة في الإجابة((إجابة لأدعيته جميعا))[61] فالدّعاء يبدأ بالفعل(قَالَ) بعد أن أُمر موسى بالذّهاب إلى فرعون الطاغية لدعوته إلى الله تعالى ويظهر الاسم المنادى(رَبِّ) الذي يدلُّ على مَنْ يتولّى شؤونَ الداعي ويربيه، ثم يتجلّى النّسق الفعلي المكثّف بأفعال الأمر المتعدّدة الخارجة لغرض الدّعاء، وهي (اشْرَحْ) و(وَيَسِّرْ) و(احْلُلْ) و(اجْعَلْ) و(اشْدُدْ) و(أَشْرِكْهُ) ونلحظُ هناك رابطًا لغويًا وهو الواو الذي يربط بين المطالب ويوحّدها؛ لأنّ هدفها جميعًا تنزيه الله وذكره، فأحدث الواو تماسكًا نصيًا في الوحدات اللغوية وفي معانيها. وكان قوله(كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا❖وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا)((غاية للأدعية الثلاثة الأخيرة فإنَّ فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثراً لفعل الآخر ومضاعفاً له بسبب انضمامه إليه مكثرٌ له في نفسه أيضاً بسبب تقويته وتأييده))[62].

(وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ❖ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(يونس 88 – 89)

1- إنَّ الاختلاف فيهما هو أنَّ الدعاء بالمفرد من موسى، والإجابة للمثنى، فالعدول في الإجابة يكشف لنا أنَّ الدعاء كان منهما أي من موسى وهارون، وقيل:((نُسبت الدعوة إليهما وموسى كان الداعي وهارون المؤمِّن، فالتأمين كالدعاء ويقرأ (دعواتكما)))[63].

2- الدعاء بفعل الأمر (اطْمِسْ+ وَاشْدُدْ)و الإجابة بالفعل الماضي(أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا).

3- اختلاف تفاصيل الدعاء عن الإجابة: ففي الدعاء ذكر تفاصيل ظلم فرعون وملئه والدعاء عليهم؛ لأنّهم(لَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ). والإجابة الموجزة(أجيبت) والداعي موسى (عليه السلام) والإجابة له ولأخيه(دَعْوَتُكُمَا)والمقصود((أنّ دعاءكما مستجاب، وما طلبتما كائن ولكن في وقته))[64].

3 ـ التحول في الدلالة الزمنية

(قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ❖ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)(يوسف 33 – 34)

الدعاء بالفعل المضارع على شكل شرطية منفية(إِلَّا تصرف) بمعنى اصرف عني كيد النسوة والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية المثبتة للدلالة على تحقق طلبه بـ(فَاسْتَجَابَ)+ (فصرف).

قال تعالى: (وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ❖فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)(البقرة 250 - 251)

النص يبني نسقه التركيبي باستعمال أفعال الأمر في الدعاء(أَفْرِغْ + ثَبِّتْ + انْصُرْنَا) ودلاتها الزمنية المستقبل وعند الإجابة المتحققة في الواقع الخارجي ظهر النسق التركيبي للأفعال الماضية بربط مباشر بالفاء(فَهَزَمُوهُمْ +قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ + آتَاهُ اللهُ +عَلَّمَهُ)فقد تحوّل زمن النسقين من المستقبل إلى الماضي.

4- التحول في التركيب النحوي

هذا المستوى من التحول يحدث في التراكيب النحوية؛ لتناسب المقام الذي جرتْ فيه جميع الأدعية وما تلتها من إجابات إلهية أنجزت تلك الأدعية، ويُلحظ أكثر التحولات ما يأتي:

أ. تحويل من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية

قال تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ❖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)(الأنبياء83-84).

دعاء النبي أيوب(عليه السلام) في تركيب نحوي يمثّل جملة مؤكّدة (أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ) ولم يحدد نوع الضر، فجاءت الإجابة مفصلة في نسق من الجمل الفعلية الماضوية(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ كل ما طلب+فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ الذي ذكر في الدعاء+وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ)وهو ما لم يذكر في الدعاء أيضاً. ونلحظ كل العطاءات المفصلة لأيوب هي لطف إلهي،وهي(رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا).

قال تعالى:(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ❖ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ❖وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ

مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ❖وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)(ص34-44) الدعاء بالجملة الاسمية (أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ) الإجابة تحولت إلى نسق الجملة الفعلية الأمرية الدالة على المستقبل من الناحية الزمنية مع التجدد للفعلية (ارْكُضْ بِرِجْلِكَ+وَوَهَبْنَا لَهُ+ وَخُذْ + فَاضْرِبْ) مع دخول الفعل الماضي(وهبنا) في سياق الأفعال دلالة على التحقق والهبة.

ب. تحويل من الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية

قال تعالى: (قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ❖ قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ)(المائدة114-115)وصف دعائي يبدأ الدعاء بـ قَالَ عِيسَى(عليه السلام)+اللهُمَّ نداء+ نداء رَبَّنَا((اللهم} أصله يا ألله.فحذف حرف النداء، وعوضت منه الميم و{ رَبَّنَا } نداء ثان))[65]+ فعل أمر خارج إلى الدعاء أَنْزِلْ+ المطلوب وهي المائدة من السماء؛ لتكون لهم آية + فعل أمر خارج إلى الدعاء(وَارْزُقْنَا) أي الطلب كان في الأساس بالجملة الفعلية في حين كانت الإجابة: بالجملة الاسمية المؤكدة(إِنِّي مُنَزِّلُهَا).

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ❖ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ)(العنكبوت 30 - 31) الدعاء بطلب النصر بوساطة فعل الأمر(انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ) أي بالجملة الفعلية والإجابة بينتْ حالة النصر بإهلاك أهل القرية(إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ)باستعمال الجملة الاسمية المؤكدة مع بيان سبب هلاكهم وهو ظلمهم المؤكد في الجملة الاسمية(إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ).

قال تعالى:(رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ)(الأعراف38) وصف لحال الداعي في عالم الآخرة وهو لمن

كتب عليه العذاب، وهم كثرٌ؛ لذا طلبوا من الله بصيغة(ربنا) لشعورهم بالقرب وانكشاف الحقائق في ذلك العالم بدون حرف النداء، والطلب بفعل الأمر الدال على الدعاء أي بالجملة الفعلية، فجاءت الإجابة عن الطلب بالجملة الاسمية المؤكدة بتقديم الخبر على المبتدأ (لِكُلٍّ ضِعْفٌ). فقد تحوّل أسلوب الأمر(فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) إلى الجملة الاسمية(لِكُلٍّ ضِعْفٌ) بمعنى العذاب عليهم مضاعف وثابت، لأنّ الجملة الاسمية دالة على الثبات.

قال تعالى: (رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ❖ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ❖ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ❖ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ)(الدخان12-15) الدعاء بالجملة الفعلية (اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ) والإجابة بالجملة الاسمية المكررة والمؤكدة(أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى+ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ) وظهر في الإجابة أمر لم يذكر في الدعاء وهو التذكر والاتعاظ وأنهم كاذبون في دعوتهم (إِنَّا مُؤْمِنُونَ) وأنهم بعد أن يكشف عنهم العذاب سيعودون إلى ما كانوا عليه.

(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ❖ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ❖إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)(ص79-81).الدعاء جملة فعلية بالأمر الخارج للدعاء والإجابة بالجملة الاسمية المؤكدة.

ج- التحولات في أجزاء التركيب

في قوله تعالى: { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ❖ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ❖ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ❖رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ❖ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ}(آل عمران191-

195) التغيير في الضمائر إلى الأسماء الظاهرة: ضمير (نا) قنا+ أغفر لنا+عنّا+ وَتَوَفَّنَا+ وآتنا+ وَلَا تُخزِنَا) والتحول(عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى + فَالَّذِينَ هَاجَرُوا +وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ +وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي+ وَقَاتَلُوا +وَقُتِلُوا) فقد ذكروا في دعائهم أنهم مؤمنون، فقال الله أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ العَامِلين المؤمنين بي، وذكر في الإجابة أصناف من العاملين، ولم يكن هذا التفصيل للأصناف مذكورا في الطلب فقط ذكروا فيه أنهم أمنوا، ولم يحددوا التفاصيل، ولم يحددوا الأصناف، وجاء التفصيل والأصناف في الإجابة: ذكر أنثى، هَاجَرُوا، وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَقَاتَلُوا، وَقُتِلُوا، مستعملا التأكيد لهم في الإجابة على مطالبهم التي فصلوا فيها، وكذلك: فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ+ وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ+ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فالوقاية من النار تستدعي التوفي مع الأبرار، والحساب على أهل الإيمان، وعدم الخزي بيوم القيامة بأيّة درجة من درجات الخزي؛ لذا كانت الإجابة عنها جميعا بقوله تعالى لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ والتكفير بمحو السيئات والصفح عنها يكون داعيا للدخول إلى الجنّة؛ لذا قال: (وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)، وعلى الرغم من اعترف العبد بالذنب والتقصير إلا لطف الله ورحمته واسعة لذا قال (ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللهِ) والثواب مستلزم العمل.

من تغييرات أجزاء التركيب ما تفرزه الآيات الشريفة في قوله تعالى:(وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ❖فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ)(الأعراف134- 135)

أ. وصف لحالة قوم طلبوا من نبيهم الدعاء للفرج وكشف الرجز عنهم وعليه فأنّهم يؤمنون الدعاء بأسلوب الشرط (لَئِنْ كَشَفْتَ- لَنُؤْمِنَنَّ) الملاحظ أنهم استعملوا فعلا ماضيا وفي ذلك دلالة على تأكدهم من حصول مرادهم بالواسطة الإجابة جاءت بالفعل الماضي تأكيداً على تحقق الإجابة فـ(كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ).

ب. الحذف في جهة الدعاء وهنا حذف جرى لدعائي موسى أي فدعاء موسى بكشف الرجز فكانت الإجابة: فأجاب الله دعائه فـ(كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ) وفي جهة الإجابة حذف أيضا إذ لم تذكر الآيات لفظ استجاب أو أجاب فأختلف نسق الدعاء عن نسق الإجابة وقيل إنَّ سبب طلب قوم موسى منه الدعاء هو (((ادع لَنَا رَبَّكَ) على وجهين: أحدهما أسعفنا إلى ما نطلب إليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوّة أو ادع الله لنا متوسلاً إليه بعهده عندك وإمّا أن يكون قسماً مجاباً بلنؤمنن، أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننّ لك))[66]وعلى الرغم من دعائه لهم واستجابة الله إلا أنهم نكثوا عهدهم ولم يفوا بما وعدوا.

ت. الطلب بكشف الرجز لقوم موسى(لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ) والداعي موسى والإجابة لقوم موسى فـ(كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ).

ث. التأكيد في جهة الدعاء باللام الموطئة للقسم والتوكيد بنون التوكيد لأنّ القوم عُهِدَ منهم نقضَ العهود فلجأوا إلى القسم والتوكيد وعلى الرغم من ذلك نقضوا عهدهم وذُكِرَ ذلك في الإجابة (هُمْ يَنْكُثُونَ) ولم يكن في الإجابة توكيد.

ج. في جهة الدعاء الفاعل المخاطب(كَشَفْتَ عَنَّا)وفي جهة الإجابة الفاعل المتكلم(كَشَفْنَا عَنْهُمُ).

ح. في جهة الدعاء (عنّا) ضمير المتكلمين وفي جهة الإجابة (عنّهم) ضمير الغائبين.

خ. في الدعاء السياق فعلي دلالة على تجدد ادعائهم بالفعل(لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)والإجابة السياق بالجملة الاسمية دلالة على ثابت حالهم وعدم تغيره(هُمْ يَنْكُثُونَ).

وكذلك نلاحظ التغييرات التركيبية النسقية في الآيات الآتية: ويُرينا النص القرآني ابتهالاً إلى الله سبحانه على لسان موسى(عليه السلام) في موقفه الصعب مع فرعون وقوته وأتباعه من المستكبرين. قال تعالى: (وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ❖ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ)(يونس88-89).يتكوّن النسقُ الدعائي من فعلي الأمر(اطْمِسْ - وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ) والتركيبان في سياقهما يصوران دلالة الدعاء بوساطة الاستعارة((لأنَّ حقيقة الطمس محو الأثر من قولهم: طمستُ الكتابَ... فكأنّ موسى (عليه السلام) إنما دعا اللَّه سبحانه بأن يمحو معارف أموالهم بالمسح لها، حتى لا يعرفوها، ولا يهتدوا إليها، وتكون منقلبة عن حال الانتفاع بها...(وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ)، استعارة أخرى، يُراد بها ما يراد بالختم والطبع؛ لأنَّ معنى الشدّ يرجع إلى ذلك، أو يُراد به تثقيل العقاب على قلوبهم بالإيلام لها، وزيادة مضاعفة الغمّ والكرب عليها))[67]، حتى يكتمل النص بـ(فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) وهو دعاء عليهم بعدم الإيمان[68]، وجاءت الإجابة المباشرة بالماضي المؤكد بقد مع انفتاحات نسقية متغايرة بين الدعاء والإجابة استوجب على الباحث الإشارة إليها بالآتي:

أ. الاختلاف فيهما الدعاء بالمفرد من موسى والإجابة للمثنى فالعدول في الإجابة يكشف لنا أن الدعاء كان منهما أي من موسى وهارون وقيل: ((نُسبت الدعوة إليهما وموسى كان الداعى وهارون المؤمِّن، فالتأمين كالدعاء ويقرأ (دعواتكما))[69].

ب. الدعاء: (اطْمِسْ+ وَاشْدُدْ) فعلان أمريان يدلان على الحاضر أو المستقبل الإجابة: (أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا) بفعل ماضٍ.

ت. اختلاف تفاصيل الدعاء عن تفاصيل الإجابة: في الدعاء ذكر لتفاصيل ظلم فرعون وملئه والدعاء عليهم؛ لأنّهم (لَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ

الأَليمَ)، تفاصيل الإجابة لفظ (أجيبت) ماضٍ الداعي موسى عليه السلام الإجابة له ولأخيه (دَعْوَتُكُمَا) ((والمعنى: إنّ دعاءكما مستجاب، وما طلبتما كائن ولكن في وقته))[70]، ثم الطلب من موسى وأخيه بالاستقامة وعدم إتباع الجاهلين، وهنا نلاحظ تفصيلات الدعاء أكثر من تفصيلات الإجابة.

ث. دلالية: الدعاء من موسى على فرعون وقومه بالعذاب والإجابة لموسى وأخيه بالاستقامة.

ج. التفصيل في الدعاء اطمس + اشْدُدْ+ ارهم العذاب أو عذّبهم الاختصار في الإجابة مع المخالفة لأفعال الدعاء المفروض في الإجابة أن تكون على نسق أفعال الدعاء نحو: اطمسْ: طمست، أطمسُ، اشْدُدْ: وشددت أو أشددُ، ارهم العذاب أو عذّبْهم: وعذبت أو أعذبُهم، ولكنها جاءت بلفظ محدد وهو أجبيت.

خاتمة البحث والنتائج

1. اشتغل البحث في نسق الدعاء والإجابة في النص القرآني بعد جرده للأدعية وإجابتها القرآنية متابعاً لها في التركيب النحوي واللغوي، فوجد الباحث أن الدعاء حُددت له صيغ وأساليب محددة إذ يتم الدعاء بشكل أساس بالأمر والنهي على وجه الطلب من الأدنى إلى الأعلى رغبة ورهبة وأملًا، وكذلك خروج الخبر وبعض صيغ النداء والتمني والاستفهام مع بعض الألفاظ الدالة على الدعاء، ولم تحدد الإجابة نحوياً أو لغوياً.
2. تتغير صياغات الإجابة بحسب سياقات الآيات القرآنية فقد تكون الحادثة واحدة والدعاء واحداً وسياق الآيات مختلفاً فتكون صياغة الإجابة مختلفة.
3. تفهم بعض الإجابات على أساس الدلالة الالتزامية.

4. ليس هناك إجابة محددة في السياق أو الصياغة للدعاء.
5. الإجابة اللغوية بحسب ما استقرأه الباحث في الغالب تتكون جملة فعلية وفيها دلالة التجدد فكلما تجدد الدعاء من الداعي تجددت الإجابة له من المدعو.
6. في الغالب يكون لفظ الإجابة ماضياً؛ لأنّها أحداث وإجابات جرت في الماضي أو لأنّ الإجابات متحققة الحدوث.
7. فتناول البحث الدعاء وإجابته المباشرة متناولاً أنساق الدعاء وأساليبه وصيغه وما جاء من أنساق الإجابات المباشرة لها بلفظ أجاب واستجاب وما رادفها من ألفاظ الإجابة نحو أتيت وغيرها فظهرت أنساق مختلفة منها (أسلوب الأمر في الدعاء وأسلوب الفعل الماضي في الإجابة، والشرط في الدعاء مع الفعل المضارع والإجابة بالفعل الماضي، والدعاء بالجملة الفعلية الماضوية والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية، والدعاء بالجملة الفعلية المضارعية والإجابة بالجملة الفعلية الماضوية...).
8. عالج البحث الدعاء وإجابته غير المباشرة متناولاً أنساق الدعاء وأساليبه وصيغه وما جاء من أنساق الإجابات غير المباشرة لها فلم تستعمل ألفاظ أجاب واستجاب وما رادفها وإنما جاءت ألفاظ تفهم منها الإجابة نحو نبشرك أو يبشرك... فظهرت أنساق مختلفة منها (الدعاء بصيغة الأمر الإجابة بالجملة الاسمية، والدعاء جملة اسمية والإجابة بالجملة الاسمية أيضا، والدعاء بالأمر والإجابة بالجملة الاسمية، والدعاء بلام الطلب والفعل المضارع والإجابة بالجملة الاسمية...) وفي هذا المبحث هناك إجابات تفهم من السياق (الدعاء بفعل الأمر والجملة الاسمية، والفعل المضارع مع لا الناهية والإجابة تستشعر من السياق...).
9. جاءت التَّحولات التَّركيبية بين الدُّعاء والإجابة بأشكال مختلفة في أنساق كلّ منهما فكان الاختصار في الدعاء والتفصيل في الإجابة بشرح وتفصيل في الإجابة لذكر تفاصيل في مطالب الداعي أو تفاصيل في لطف المدعو،

أو التفصيل في الدعاء والإيجاز في الإجابة وكانت هناك تحولات نسقية زمنية بحسب دلالات المعاني والسياقات التي ترد فيها سياقات الدعاء والإجابة وتحول النسق النحوي من الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية والعكس حاصل في التركيب وفي أجزاء التركيب حصلت تغييرات نسقية من الضمائر في الدعاء إلى التصريح بألفاظ ظاهرة بدائل عن الضمائر.

الهوامش:

1- العين – الخليل ين أحمد مادة (نسق): 382/1.
2- معجم مقاييس اللغة - ابن فارس: مادة (نسق): 420/5.
3- دلالة الأنساق البنائية في التركيب النحوي- د.عامر السعد: 10.
4- نظرية النص من بنية المعنى إلى سميائية الدال- د.حسين خمري: 80.
5- لسان العرب – ابن منظور مادة (دعا): 257/14، ❖ الآية: { وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ } (البقرة 23).
6- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير – الفيومي: 194.
7- معجم مقاييس اللغة مادة (دعو): 279/2.
8- الفروق اللغوية- أبو هلال العسكري: 49.
9- مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني مادة (دعا):315.
10- أساليب المعاني في القرآن – جعفر باقر الحسيني:53.
11- تصدير: لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: الناشر:6.
12- الدعاء عند أهل البيت -عليهم السلام- محمد مهدي الآصفي: 27.
13- لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية- محمد باقر الموسوي:148.
14- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: 113/1.
15- لسان العرب: مادة (جوب): 283/1.
16- الدعاء عند أهل البيت -عليهم السلام: 27.
17- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين الألوسي: 64/2.
18- الأساليب الإنشائية في النحو العربي – عبد السلام محمد هارون:13.

19- الكتاب – سيبويه: 142/1.
20- ينظر: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم- أحمد بن فارس: 186.
21- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: المصطفوي: مادة (جوب): 160/2.
22- الكتاب: 142/1.
23- ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 259.
24- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور- البقاعي(ط دار الكتب العلمية): 2/ 197.
25- روح المعاني: 167/4.
26- معاني النحو:د.فاضل السامرائي: 278/4-279.
27- تفسير سورة إبراهيم – جوادي آملي: 103.
28- الكشاف – الزمخشري:486/1.
29- روح المعاني: 164/1، ينظر: الإتقان – السيوطي: 179/2-180.
30- قضايا الشعر المعاصر – نازك الملائكة:240.
31- ينظر: الكتاب: 12/1.
32- ينظر روح المعاني:145/3، 65/16، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتاب الإسلامي):469/12.
33- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: مادة (غوث):617، ولسان العرب مادة (غوث):174/2، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة (غوث): 339/7.
34- روح المعاني: 167/4.
35- ينظر: روح المعاني: 167/4.
36- ينظر مفتاح العلوم - السكاكي: 320.
37- الكتاب: 8/3.
38- ينظر: إملاء ما من به الرحمن- أبو البقاء العكبري:133/1، و166/2،ومغني اللبيب- ابن هشام: 14/1، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتب العلمية):242/1.
39- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتاب الإسلامي): 468/12.
40- التبيان في تفسير القرآن: 275/7.
41- في ظلال القرآن 4/ 2395.

42- ينظر روح المعاني:145/3، 65/16، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتاب الإسلامي):469/12.

43- ينظر: آيات (مريم: 5-10) فيها طلب زكريا(عليه السلام) والإجابة عليه والتحليل اللغوي يقودنا إلى تحليل متقارب مع تغيرات في الأنساق بحسب المقام والسياق.

44- ينظر: دلائل الإعجاز –عبد الجرجاني:124، ومعاني النحو: 185/1 .

45- في ظلال القرآن - سيد قطب: 2302/4.

46- الميزان في تفسير القرآن: 124/18، وينظر: الإتقان 499/1.

47- ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 114/10.

48- ينظر: الكتاب284/4.

49- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتب العلمية): 144/1.

50- ينظر: العين مادة (عوذ):134/1، مفردات ألفاظ القرآن: مادة (عوذ):549، ولسان العرب: مادة (عوذ):498/3.

51- ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: مادة (رجم):345-346، ولسان العرب: مادة (رجم):226/12.

52- لسان العرب-: مادة (دعا):257/14.

53- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: مادة (رهو): 266/4، وينظر: لسان العرب: مادة (رها):340/14.

54- مقتنيات الدرر - علي الحائري الطهراني:284/6.

55- ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتب العلمية): 1/ 239-244.

56- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور(ط دار الكتب العلمية): 243/1.

57- ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل- مكارم شيرازي: 399/11.

58- الميزان في تفسير القرآن: 287/15.

59- الكشاف: 622/4.

60- ينظر: مغني اللبيب:228/1.

61- الميزان في تفسير القرآن:148/14.

62- روح المعاني: 186/16.

63- معاني القرآن – الفراء: 478/1، وينظر: معاني القرآن – الزجاج: 31/3.

64- الكشاف – الزمخشري:348/2.

65- الكشاف – الزمخشري: 172/1 -173.
66- الكشاف – الزمخشري:140/2.
67- تلخيص البيان في مجازات القرآن: 156.
68- ينظر: معاني القرآن – الفراء: 477/1، معاني القرآن – الزجاج: 31/3.
69- معاني القرآن – الفراء: 478/1، وينظر: معاني القرآن – الزجاج: 31/3.
70- الكشاف – الزمخشري:348/2.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المندوب، دار الفكر- لبنان، الطبعة: الأولى: 1416هـ-1996م.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي:عبد السلام محمد هارون،الناشر دار الجيل- بيروت الطبعة الثانية1979م.
- أساليب المعاني في القرآن: جعفر باقر الحسيني،مؤسسة بوستان كتاب، الطبعة الثانية،1430هـ.ق-1388هـ.ش.
- الأمثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل: الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي وآخرون، قسم الترجمة والنشر للإمام أمير المؤمنين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1426هـ ـ 2005م.
- إملاء ما من به الرحمن: أبو البقاء العكبري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى: 1399ه-1979م.
- الإيضاح في علوم البلاغة ـ الخطيب القزويني(ت 739ه) تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي ود. عبد العزيز شرف. دار الكتاب المصري، القاهرة، 1425ه -2004م.
- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي،(د.ط.، د.ت).
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم يبحث عن الأصل الواحد في كل كلمة وتطورها وتطبيقه على مختلف موارد الاستعمال في كلماته تعالى: المحقق المفسر حسن مصطفوي، مركز نشر آثار مصطفوي، الطبعة الأولى، 1385=1427هـ.

- تفسير سورة إبراهيم: الشيخ جوادي الآملي، تقديم وترجمة: عرفان محمود، منشورات دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت، الطبعة الثانية، 1430هـ ـ2009م.
- تفسير مقتنيات الدرر:السيد علي الحائري الطهراني(المفسر)،منشورات محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية1337هـ.ش.
- تلخيص البيان في مجازات القرآن: الشريف الرضي، حقَّقه وقدّم ووضع فهارسه: محمد عبد الغني حسن، دار الأضواء- بيروت، الطبعة الثانية: 1406هـ-1986م.
- الدعاء عند أهل البيت -عليهم السلام-: محمد مهدي الآصفي، منشورات جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) العالمية، المطبعة: أميران، الطبعة الرابعة: 1429ه.ق-1387ه.ش.
- دلائل الأعجاز: عبد القاهر الجرجاني، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه: د.محمد التنجي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى: 1425 هـ - 2005 م.
- دلالة الأنساق البنائية في التركيب القرآني: د.عامر السعد، شركة الغدير للطباعة والنشر والتوزيع المحدودة – العراق- البصرة، الطبعة الأولى: 2015م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ت1270هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت،الطبعة الثانية، (د.ت).
- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامهم: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، علق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.
- العين (كتاب): أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق: د.مهدي المخزومي، ود.إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، الطبعة الثانية، 1409 هـ.
- الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، علق عليه ووضع حواشيه: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية،بيروت- لبنان، الطبعة الرابعة: 1427هـ -2006م.
- في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار الكتب – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى،1962م.

- الكتاب: سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر القاهرة، الطبعة الرابعة، 1425 هـ - 2004م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان، الطبعة الثانية:1421هـ-2001م.
- لسان العرب:أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري،أدب الحوزة:قم-إيران،1405ه.
- لوامع الأنوار العرشية في شرح الصحيفة السجادية: محمد باقر الموسوي الحسيني الشيرازي، صححه وقدم له وعلق عليه: محمد هادي زاده، مؤسسة الزهراء(عليها السلام) الثقافية الدراسية والتابعة لحوزة أصفهان العلمية، الطبعة الثانية، 1385هـ.ش.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي:أحمد بن محمد المقري الفيومي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- معاني القرآن وإعرابه: أبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج، شرح وتحقيق:د. عبد الجليل عبده شلبي، الناشر عالم الكتب – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: 1408ه-1988م.
- معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: جـ1:أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار،جـ 2:محمد علي النجار، جـ3: د.عبد الفتاح إسماعيل شلبي مرجعة الأستاذ علي النجدي ناصف، دار السرور.
- معاني النحو:د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر – عمان، الطبعة الثانية: 2003 – 1423هـ.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الإعلام الإسلامي الطبعة، المطبعة: مكتبة الإعلام الإسلامي 1404هـ.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ابن هشام الأنصاري، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق- إيران، الطبعة الأولى، 1378ه.ش.
- مفتاح العلوم: يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية. بيروت، 1407هـ-1987م.

- مفردات ألفاظ القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق والدار الشاميّة ـ بيروت، المطبعة كيميا، الطبعة الرابعة، 1383هـ.ش =1425هـ.ق.
- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، 1402 هـ.
- نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميايّة الدال: د.حسين خمري، الطبعة الأولى، منشورات الاختلاف الجزائر، 1428هـ-2007م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن البقاعي، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه عبد الرزاق غالب المهدي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت، الطبعة الثالثة، 1427هـ ـ 2006م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن البقاعي، دار الكتاب الإسلامي- مصر.

Abstract of Thesis

Summary Search shifts in supplication and answer format in the text of the Quran

Researcher trace supplication methods and coordinated methods to answer and coordinated, between supplication formats and answer, style, and analyzed the emergency formats supplication and answered transitions, it has been shown to pray has taken a number of methods, including the command style and Prevention and the condition and the nominal and actual others and sentence. The answer methods: it's condition and actual nominal sentence and understood from the context, and others. Structural transformations represented in detail and brevity and shift significant time and shifts grammatical methods and there are partial transformations referred to by the researcher shifts in the composition parts. All that pictures the strong relationship between the calling and called, was the relationship is derived by calling the poor absolute perfection of the rich.